

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[473] بِهِمْ (الْأَسْبَابُ). واضح أن المعبودين هنا ليسوا الأصنام الحجرية أو الخشبية، بل الطغاة الجبابرة الذين استعبدوا الناس، فقدم لهم المشركون فروض الولاء والطاعة، واستسلموا لهم دون قيد أو شرط. هؤلاء الغافلون المغفلون حين يروا ما حلّ بهم يمدّون أنفسهم: (وَقَالَ السَّذِينَ اتَّبِعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ تَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْهَا لَكِنَّا أُمْنِيَةٌ لَا تَحَقُّقُ، وَعَبَّرَ آيَةً أُخْرَى عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّمَنِي عَلَى لِسَانِ كَافِرٍ يَقُولُ لِمَعْبُودِهِ الْمَزِيْفُ: (حَتَّى إِذَا جَاءَ نَارًا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْتِي وَبَيْتِكَ بَعْدَ الْمُشْرِقَيْنِ فَتُبْنُوسَ الْقَرِينِ) (1). ثم تقول الآية: (كَذَلِكَ يُرِيهِمْ آيَاتُ أَعْمَالِهِمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ، وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ). ليس لهم إلا أن يتحسّروا، يتحسّرون على أموالهم التي كنزوها واستفاد منها غيرهم ... وعلى فرصة الهداية والنجاة التي هيئت لهم فلم يستثمروها ... وعلى عبادتهم لآلهة زائفة بدل عبادة الله الواحد الأحد. لكنّها حسرة غير نافعة ... فاليوم الجزاء على ما جنته يد الإنسان من أخطاء، وليس يوم تلافى الأخطاء. * * *